فكاهات

رواية

الساعة الرملية (١)

من طباع موسري الافرنج ومترفيهم الولوع بجمع الطُرَف النادرة والاشيآء القديمة من ادوات الزينة واللُعَب والتماثيل وغيرها يزينون بها منازلهم ويفتخرون بمقتناها لعزّة وجودها وغلآء اثمانها ولهذه الطُرَف مخازن مخصوصة يقصدها اهل هذا الشأن فيجدون فيها كل غريب من الاشيآء المذكورة . وان رجلاً من اغنيآء لندن يقال لهُ برترام استفورد من المولعين بهذه الطُرَف كان يمرّ كل يومٍ على مخزنٍ من المخازن التي اشتهرت بجمع نفائسها فيختار ما يستحسنهُ منها ويؤدي ثمنهُ بالغاً ما بلغ حتى انفق جانباً كبيراً من مالهِ في ذلك المخزن . ومرّ من هنالك في احد الايام فاستوقفهُ مرأى ساعةٍ رملية قديمة العهد نقية الزجاج فيها رملٌ احمر يسيل من احدى محجمتيها الى الاخرى فاستحسنها ولم يملك نفسهُ ان دخل المخزن وساوم صاحبهُ فيها حتى اتفقا على ثمنها فدفعهُ برترام بنفسٍ طيبة وهو مسرورٌ بهذه التحفة الانيقة . وقبل ان يخرج بها قال لهُ البائع لا تعتمد على دِقّة هذه الساعة في تحرير الوقت فانها تقف في بعض الاحيان لان رملها غير

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

متناسب الحجم فينبغي لك ان تهزّها قليلاً فتعود الى مجراها . فقال برترام اني لم اشترِها لمعرفة الوقت ولكن رغبةً في مقتنى هذا الاثر القديم ثم اخذها وخرج

وبعد ما بلغ برترام منزلهُ وتناول طعامهُ دخل غرفتهُ وجعل يقلّب تلك الساعة وقد جلس ووضعها على ركبتهِ وهو يراقب سيلان الرمل فيها وكلما فرغ الرمل من جانب ردّها على الجانب الآخر وهو يعجب من حالتها . وبينا هو يقلّبها وينظر فيها رأى على طرفيها قطعتين من خشب السنديان قد اسودّتا لطول العهد وقد نُقش على احداهما صورة قلبين يربطهما شيءٌ اشبه بالشعبان . ومرّت بهِ الساعات وهو يلهو بتلك الآلة الغريبة ولا يشعر بنفسهِ الى الساعة الواحدة بعد نصف الليل واذا بباب غرفتهِ يُقرَع ففتح فاذا فتًى بملابس الجندية قد دخل عليهِ خفيف الحركة رشيق القوام فحيّا باحترام ولبث واقفاً . فتعجب برترام من دخول ذلك الغريب عليهِ في تلك الساعة بدون تعريفٍ ولا اشعار واشار اليهِ بالجلوس فابى وقال ائذن لي يا مولاي ان اعرّفك بنفسي . انا ملازم اول في الجيش واسمي ستنور وقد اتيت اطلب ساعتي الرملية هذه . فقال برترام اظنك واهماً ايها الصاحب فان هذه الساعة مشتراة بالثمن وان احببت دللتك على الموضع الذي اشتريتها منهُ . قال قد علمت ذلك ايها السيد غير ان الساعة لي ولها تأريخٌ صغير اذا قصصتهُ عليك فلا اشك انك تردها عليَّ وتأخذ مني ثمنها الذي دفعتهُ مع الربح ان احببت . قال برترام لا اقدر ان اجيبك بشيء قبل ان اقف على حقيقة الامر فتفضل اجلس وقصّ عليَّ ما بدا لك . فتقدم الملازم وجلس

على كرسيٍّ بازآء برترام ثم القى نظراً طويلاً على تلك الساعة وهي على ركبة برترام وتنفس الصعداء ثم ابتدأ في حديثهِ فقال

كنت في سنة ١٧٠٦ ملازماً في الجيش البريطاني في فرقة القائد تريلوني من قوّاد البطل ملبروك العظيم . فلما كانت الحرب الاسبانيولية التي دامت اربع سنوات واشتهرت وقائعها كانت فرقتنا في برابنت فصدرت الاوامر بان ننضمّ الى جيش الدوك ملبروك في الجانب الثاني لحضور المعركة التي ستكون الحد الفاصل بيننا وبين الفرنسيس . فقمنا من برابنت مسرعين وكنا نمرّ على المدن فاذا وجدنا في طريقنا حصوناً دككناها او جيوشاً فرّقناها او قوةً للعدوّ ابدناها عملاً باوامر القائد تريلوني . ولما بلغنا مدينة السنكور استولينا عليها بدون اراقة دم لان حامية المدينة كانت قد تركتها وتحصنت في قلعةٍ منيعة جدًّا فقصدنا القلعة وهاجمناها مراراً وكنا كل مرةٍ نرتدّ عنها خاسرين فبلغ الغيظ من القائد وامر ان لا نبرح تلك المدينة حتى نهدم القلعة . وكان العسكر قد اعياهُ المسير فتفرّق حيناً للراحة ريثما يكون القائد قد روّأ في امر القلعة واتخاذ الطرق التي تمكننا من الاستيلاء عليها . اما انا فتوجهت الى فندقٍ هناك لتناول الطعام ولما جلست على المائدة كانت بازآئي فتاةٌ انكليزية بديعة الجمال لم تكد تقع عيني عليها حتى اخذت بمجامع لبّي وبعد ان فاتحتها الحديث علمت ان اسمها مرغريت وانها سائحة في تلك النواحي وراجعةٌ الى وطنها بعد قليل . فاغتنمت مدة بقآئنا هناك واكتريت لي غرفةً في الفندق وكنت اقضي اكثر اوقات الفراغ معها في الحديث الى ان تمكن الحب بيننا وفي اثناء ذلك اهدت لي

مرغريت هذه الساعة التي على ركبتك الآن لتكون تذكاراً لها عندي فنقشت عليها رسم قلبين يشبك بينهما الحرفان الاولان من اسمها واسمي

وكنا لما قصدنا تلك الارض لم نستصحب معنا المدافع الضخمة فتعذّر علينا التغلب على القلعة بدونها وارسل القائد تريلوني الى الدوك ملبروك يعلمهُ بما اوجب تأخرهُ ويسألهُ الامداد ففرحت بهذا التأخير فرحاً عظيماً لانهُ كان سبباً في اطالة مدة اجتماعي بمرغريت فلم اكن افارقها الا عند قضآء واجبٍ مهمّ . وبعد يومين من اقامتنا بالبلدة بينا كانت مرغريت في غرفتي ونحن نتحادث سمعت وقع خطواتٍ فعرفت للحال انهُ قائدي آتياً اليَّ في شغل فخرجت مرغريت ثم دخل القائد بوجهٍ منقبض تلوح عليهِ علائم التفكر والاهتمام وبعد ان جلس قال لي اني قد صممت على فتح القلعة في هذه الليلة فهل يمكنني ان اعتمد عليك في امرٍ مهمّ . قلت لبّيك فمرني بما تشآء . قال أحضِر خمسة وعشرين من رجالك وأبقِهم هنا سرًّا وبعد ساعةٍ توجه بهم الى القلعة واهجم على بابها الغربي حتى تنجذب الحامية كلها الى ناحيتكم وحاولوا ان تشغلوهم هناك ريثما اكون انا قد هجمت من الناحية الشرقية وفتحت القلعة واذا تمكن احدكم من دخول القلعة لم أُغفِل ترقيتهُ ومكافأتهُ . ثم قال الآن الساعة التاسعة فاذا سرتم الساعة العاشرة بلغتم باب القلعة بعدها بنصف ساعة فاكثروا من الجلبة عند وصولكم ليخال القوم ان كل قوتنا هناك فلا يبقى احدٌ في الجهة التي انوي مهاجمتها فهل عندك ساعة . قلت ليس عندي سوى هذه الساعة الرملية . قال حسنٌ فدعها تجري وفي تمام الساعة سِرْ برجالك كما امرتك واياك الخلاف ثم خرج وهو

يحرّضني . فبادرت وجمعت رجالي واقمت انتظر حلول الوقت وانتهآء سقوط الرمل وفيما انا كذلك اذا بمرغريت قد عادت فغصنا في حديث الحب وانا اراقب الساعة حيناً بعد حين فارى الرمل لا يزال كثيراً في قسمها العلوي فاعود الى الحديث ناعم البال . ولما طال الوقت كثيراً ورأيت ان الرمل لا يتناقص دنوت من الساعة وتأملتها فاذا هي واقفة فكأن صاعقةً هبطت عليّ ووقفت لا ادري ما اصنع . وادركت مرغريت ما انا فيهِ من الاضطراب فقالت قد نسيت ان اخبرك ان الساعة تقف احياناً فينبغي ان تُهَزّ حتى تعود الى جريها . فلما سمعت صوتها تنبهت من ذهولي وطرت كلمح البصر الى حيث الرجال بانتظاري وسرت امامهم وانا كمن فقد الشعور وكان لمعان بارود المدافع ينير طريقنا في ذلك الظلام . غير اننا لم نسر الا قليلاً حتى التقيت بالقائد تريلوني وقد صُبغ وجههُ بسواد الدخان وتغطت ثيابهُ بالغبار فلما وقعت عيني عليهِ شعرت بدنوّ الاجل ووقفت كمن لاحراك بهِ . فقابلني بتمام الرزانة وقال ايها الملازم اصرف جنودك الى اماكنهم فامرتهم فانصرفوا ثم قال انك من هذه الدقيقة موقوف فاذهب الى غرفتك وانتظر قدومي

ولما كنت عارفاً باخلاق قائدي لم ابدِ اقلّ معارضة فحنيت رأسي خاضعاً ورجعت الى غرفتي ولما دخلتها نظرت الى الساعة فوجدت الرمل قد عاد يتساقط كالاول . ولم تمضِ دقائق قليلة حتى وفد عليَّ القائد وبصحبتهِ ضابط واربعة من الجند وكانت علامات الغضب والهياج مرتسمةً على وجههِ مع انهُ كان يجتهد في تسكين غيظهِ على ما هي عادتهُ

في مثل تلك الحال . ثم حدّق بنظرهِ اليَّ وقال ايها الملازم ستتور لما ذا لم تطع الاوامر . قلت يا مولاي اني كنت متكلاً على الساعة الرملية فتوقّف جريها ولم اتنبه لذلك الا بعد فوات الوقت . فحوّل القائد وجههُ الى الساعة كمن ارتاب في صدق قولي ثم فحصها قليلاً وردّها الى مكانها فاخذت تجري كعادتها . فالتفت اليّ وقال هاتِ سيفك فنزعتهُ وسلمتهُ اليهِ . ثم قال للضابط اني قد حكمت عليهِ بالموت واعطيتهُ مهلة ساعة واحدة يودع فيها دنياهُ ويكتب وصيتهُ فمتى تمت الساعة وسقطت آخر حبةٍ من الرمل فاطلقوا عليهِ النار ليموت موت الخائن الجبان . ثم خرج وبقيت وحدي انتظر لقآء منيتي فجلست في ناحيةٍ من الغرفة اراقب سقوط الرمل الا انهُ قبل انتهآء الساعة توقف كعادتهِ ورأى الضابط ذلك فهمّ بتحريك الزجاجة فصحت بهِ قف مكانك ولا تدنُ من الساعة فانك لم تؤمر بهذا . وكان الضابط معتاداً الطاعة الجندية فوقف لا يبدي حراكاً وشعرت بانتعاشٍ في قواي فامرتهُ ان يرسل احد رجالهِ الى القائد يعلمهُ بما حصل وينظر بما ذا يصدر امرهُ . فغاب الجندي نحو نصف ساعةٍ ثم عاد وعاد القائد معهُ ولما دخل توجه توًّا الى الساعة وكانت لا تزال واقفةً فوقف هنيهةً ثم اخذها بيدهِ ينظر فيها ورايت في وجههِ ما جرّأني على الكلام فقلت هذا يا مولاي نفس ما وقع لي اولاً وعاقني عن انفاذ اوامرك . فتبسم ثم نظر اليّ وقال اني قد عفوت عنك وهذا سيفك اعيدهُ اليك فاستعملهُ في خدمة الحكومة حيًّا ثم صرف الضابط وجماعتهُ وخرج

وبعد ما انصرف وخلوت بنفسي اخذت افكّر في فعلٍ اعوّض بهِ

عمّا فات واسرّ قائدي الذي كنت احبهُ واجلّهُ الى درجة العبادة فانتظرت الى ان اتت الساعة الثانية بعد نصف الليل ثم انتخبت خمسةً من خيار رجالي وانطلقت بهم تحت جنح الظلام وهم لا يعلمون الى اين يذهبون . وكانت القلعة قائمةً من احد جوانبها على شفا وادٍ عميق فلم تهتمّ الحامية ان تحصّن تلك الجهة فخطر لي ان اقصد القلعة من هناك ونزلت برجالي الى اسفل الوادي واخذنا نتسلق تلك الصخور الشاهقة ونحن حفاة الاقدام وبعد مقاساةٍ عنيفة وصلنا الى جدار القلعة فسمعنا وقع اقدام الحارس فكمنّا لهُ حتى اذا اقترب منا وهو غير عالمٍ بشيء وثب اثنان من جندي عليهِ وفي اقل من لمحة طرفٍ اوثقا يديهِ وسدّا فاهُ ثم تبعناهما واحطنا بهِ ووضعت سيفي عند قلبهِ واستفهمتهُ عن موضع الذخيرة وغير ذلك مما اردت الوقوف عليهِ وتهددتهُ بالقتل ان لم يصدقني . وبعد ان عرفت منهُ كل شيء تركتهُ موثقاً تحت حراسة احد الجنود وتقدمت مع الباقين الى الغرفة التي فيها ذخيرة القلعة واستلّ احدنا خنجرهُ فكسر بهِ برميلاً كبيراً من البارود فانتشر البارود في كل الغرفة . وشعر القوم بنا فارتفع صوت البوق وسمعنا ركض الجنود فاسرعنا من وجوسهم حتى اذا تباعدنا قليلاً اخذت البندقية واطلقتها على برميل البارود الذي كسرناهُ فاشتعل واشعل ما يجاورهُ وللحال حدث انفجارٌ هائل حتى كانت الارض تميد تحت اقدامنا ثم ارتفع الصراخ والتأوّه وغبت انا عن الوجود فلم اعلم بعد ذلك شيئاً حتى انتبهت بعد خمسة ايام فوجدت نفسي في مستشفى جيش الدوك ملبروك وبجانبي القائد تريلوني والطبيب . وعرفت من

القائد انهُ كان تلك الليلة في خيمتهِ فسمع الانفجار واسرع برجالهِ لينظر ما الخبر فوجدني ملقىً خارج سور القلعة مضرّجاً بالدماء وكانت قد قذفتني بعض قطع الخشب المتطايرة على اثر الانفجار . فتعجب من وجودي هناك وانتشلني وفي الصباح دخل القلعة فخرّب ما بقي منها ثم سار بجيشهِ الى القائد العام واصحبني معهُ وهو يعالجني الى ان شفيت وبعد ذلك شكرني وانعم عليّ

وبعد نهاية الحرب رجعت الى ألسنكور ابحث عن مرغريت فوجدتها قد رجعت الى انكلترا فاغتممت لذلك اشد الغم وبقيت كالحائر الى ان رجعت الى وطني وبحثت عنها كثيراً فلم اقف لها على خبر ولم يكن عندي ما اتذكرها بهِ سوى هذه الساعة الرملية التي كنت احافظ عليها محافظتي على حياتي

ولما كانت السنة الماضية سافرت في الحرب الاخيرة واحتاجت والدتي في مدة غيابي فباعت بعض ما في المنزل وفي جملتهِ الساعة فلما عدت ولم أرَها شقّ عليَّ الامر جدًّا وكان فقدها عندي مثل فقدي لمرغريت فانطلقت اتبع سير الساعة وابحث عمن اشتراها ولمن باعها الى ان افضيت الى مخزن الطُرَف وعلمت انها قد بيعت لك فقصدتك لأقصّ عليك قصتي هذه واتوسل اليك ان تنعم عليَّ بهذا الذكر الوحيد الذي ابقاهُ لي الدهر من مالكة فؤادي وما احسبك تضنّ عليّ بهِ

وكان برترام في اثناء سماعهِ قصة الملازم واضعاً الساعة على ركبتهِ وقد ذهل عنها بما سمعهُ من ذلك التاريخ الغريب فلما فرغ سنتور من كلامهِ

وقف برترام متأثراً متهيجاً وقال اجل اني لا اضنّ عليك بهِ . ولكنهُ عند قيامهِ سقطت الساعة الى الارض فتحطمت كِسَراً ولو أن خنجراً اخترق احشآء سنتور لكان اسهل عليهِ من مرأى قطع الزجاج المتكسر والرمل المنتشر على الارض فجثا امام تلك الكسر وتنفس الصعدآء ثم تدفقت عبراتهُ . ووقف برترام كالصنم يفكّر فيما جرى ثم انهض سنتور واجلسهُ على كرسيّهِ وقال لا بأس يا سنتور فسأعوّض عليك بما هو اثمن من الساعة فانتظرني هنا . ثم دخل الى غرفةٍ ثانية فما غاب الا قليلاً حتى عاد وعلى ذراعهِ فتاةٌ بثياب النوم فلم يكد نظر سنتور يقع عليها حتى صاح مرغريت وسقط الى الارض

وكانت مرغريت اخت برترام وكانت بعد ما حدثت تلك الحوادث في ألسنكور ظنت ان حبيبها قد قُتل فهجرت الدنيا وملذاتها وعادت الى بيت اخيها تقضي بقية حياتها في الزهد والصلاة . وطلب كثيرون الاقتران بها فامتنعت ولما تكرر ذلك منها سألها اخوها عن سبب امتناعها فاخبرتهُ بخبر سنتور وانها عزمت ان لا تقبل احداً بعدهُ . فلما سمع برترام حديث سنتور لم يشكّ انهُ هو خطيب اختهِ ولما انكسرت الساعة تنبه فذهب وايقظها من نومها فاجتمع الحبيبان بعد ذلك الفراق الطويل ثم اقترن سنتور بمرغريت وعاشا بقية ايامهما سعيدين يتمتعان بصفو الحياة على قدر ما يسمح لهما الدهر بالصفآء .

لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

ويقولون دارَكَ الخلل والفساد اي تلافاهُ وانما يقال في هذا المعنى تدارَكَ لا دارَكَ لان المداركة في اللغة بمعنى المتابعة يقال دارك عليهِ الضرب اذا تابعهُ وجعل بعضهُ يلي بعضاً فهو على عكس مقصودهم كما ترى

ويقولون هؤلآء قومٌ أغراب يريدون جمع غريب وهذا الجمع غير مسموع في هذا الحرف والصواب غربآء لان جمع فعيل على افعال من الجموع السماعية فلا يتعدى المنقول عنهم

ويقولون عوّدتهُ على الامر وتعوّد عليهِ واعتاد عليهِ والصواب حذف الجارّ في الكل لان هذا الحرف يتعدى بنفسهِ

ويقولون طال المطال على هذا الامر اي طال العهد عليهِ مثلاً ويقرأون المطال بفتح الميم ذهاباً الى انهُ مَفعَل من طال على ما يوهم ظاهر اللفظ ولا معنى لهذا التركيب وانما هو عند من نُقلت عنهُ هذه العبارة المِطال بكسر الميم مصدر ماطلهُ مثل القتال من قاتلهُ والمعنى ظاهر

ويقولون فتّش على الشيء فيعدّونهُ بعلى والصواب تعديتهُ بعن مثل بحث وفحص

ويقولون هذا الامر في غاية الوضاحة والصراحة يعنون بالوضاحة الوضوح وهو غير مسموعٍ في النقل ولا وجه لهُ في القياس لان الفعل من باب ضرب